مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والامنية على الساحتين الدولية والاقليمية

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية على الساحتين الدولية والإقليمية

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

بعضٌ من تداعيات "طوفان الأقصى": فلسطينياً، إقليمياً، ودولياً

إن خفقان أجنحة الفراشـــات الذي انطلق في الســـابع من أكتوبر من العام الجاري، من رقعة صـــغيرة جداً بالمقاييس الجغرافية، وقليلة العدد بالمقاييس الديموغرافية، تسبّب بإعصـار سـيُسـهم، أردنا أم لم نُرد، في إعادة تشكيل المنظومة الدولية والنظام العالمي الجديد، سيما أنه دفع باتجاه صـحوة سوف تطال إعادة قراءة التاريخ والثوابت عند شريحة كبيرة من البشر؛ وأولى ضحاياها "الديموقراطية الغربية" و"القانون الدولي" و"حقوق البشر" .. ذرائع كانت توازنات القوة لدى القوى الكبرى، كالولايات المتحدة وشـــركائها ومنظمات دولية تديرها، تختبئ خلفها، في الوقت الذي لم تجف فيه بعد دماء أطفال غزة وشهدائها.

كل الجبهات فُتحت، من سـياسـية وحضـارية واقتصـادية وتاريخية وإعلامية... حيث أثار "طوفان الأقصـى" قضايا كانت كامنة في أعماق المجتمعات البشرية، من التعصّب العِرقي إلى التعصّب الديني والحضاري، إلى الروايات التاريخية حول "محرقة اليهود"، إلى مساءلة الحكومات حول أين تذهب الأصـول المالية، ولماذا يبقى الكيان الإسرائيلي فوق المساءلة وفوق القانون؛ وصولاً إلى أزمات إيرلندا وبريطانيا، ثم إلى أقصى شرق آسيا، وكذب الدعاية الإعلامية الأمريكية والغربية عموماً حول حقوق الإنســان والديموقراطية؛ والتي وضــعت العديد من علامات الاستفهام حول العنف الديني الصيني .. وباختصار، إن كوكب الأرض يغلي.

في الوقت الذي تخوض فيه تلك العصـبة من المجاهدين الفلسـطينيين معركة "طوفان الأقصـى" وتقرير مصـير قطاع غزة ودولة فلســطين، إلّا أنهم في الواقع يفرضـــون جملة من التداعيات على دول الطوق، وعلى الكيان الإسرائيلي، سنحاول قراءتها وتحليلها بإيجاز.

تداعيات "طوفان الأقصى" على فلسطين:

1- لعلّ أبرز تداعيات "طوفان الأقصـــى" على فلســطين المحتلة أنه أعاد، وبقوّة، فرض القضــية الفلسطينية على طاولة المباحثات الدولية من جهة، وعلى الرأي العام الدولي، فارضاً دخوله إلى ساحة المواجهة بزخم منقطع النظير، سـيما بعد ضـمور صـوت الرأي العام الدولي لعقود، بعدما غاب العمل النقابي والحراك الاجتماعي العميق في المجتمعات الغربية منذ انهيار الاتحاد السوفياتي.

2- على مستوى السلطة الفلسطينية، كان لطوفان الأقصى أثر واضح على موقع رئيس السلطة محمود عباس ومن خلفه السلطة في الضفة الغربية، والتي ما زالت آثارها متتابعة استناداً للميدان في غزة وتبعاته على الأرض في الضفة. هذا الضغط تلقّفته "إسرائيل" والولايات المتحدة، ومن خلفهما الدول العربية، لإعادة تلميع صورة "أبو مازن" دولياً خلال المباحثات حول خيار "حل الدولتين" بقيادة السلطة، وهو الأمر الذي تلقّاه "أبو مازن" برحابة صدر، مكرّراً الخطة التي رُفضت إسرائيلياً لسنوات عديدة، والتي وضعها سلام فيّاض(رئيس وزراء فلسطيني سابق).

أيضاً، وعلى المستوى السياسي، لعلّ أبرز ما عانته الساحة السياسية في غزة، إلى جانب الضغط العسكري من قِبل الكيان المحتل، كان موقف محمود عباس في القمة العربية – الإسلامية، والتي بدا فيها عباس وهو يناور على ما بعد غزة سياسياً"، مع أنه يدرك أن سيْر العمليات الإسرائيلية التدميرية في شمال غزة يؤكّد وجود عزم إسرائيلي على إفراغ الشمال الغزّاوي تمهيداً لاحتلاله وتثبيت معادلات جديدة على أرضه؛ وهو التفسير الوحيد لسياسة قصف المستشفيات، وعلى رأسها مستشفى الشفاء، التي تحوّلت في الآونة الأخيرة إلى رمز للصمود الفلسطيني في غزة.

خطة فيّاض الأساسية تقضي ب:

1- "توسيع فوري وغير مشروط لمنظمة التحرير الفلسطينية لتشمل بقية الفصائل، بما فيها حماس والجهاد الإسلامي.

2- اعتراف إسرائيل بدولة ذات سيادة على أراضي 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

3- تتولّى السلطة الفلسطينية، من خلال حكومة توافق عليها منظمة التحرير الموسّعة، السيطرة الكاملة في إدارة شؤون الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع خلال فترة انتقالية متعددة السنوات، يتم فيها الاتفاق بين السلطتين الفلسطينية والإسرائيلية على التزام متبادل بوقف صارم للعنف؛ وفي نهاية المرحلة تتم انتخابات وطنية في موعد يتم الاتفاق عليه في بداية المرحلة الانتقالية" .

هذه الخطة التي تبنّاها أبو مازن "بتصرّف" فرضتها معادلة " طوفان الأقصى" والرغبة الإسرائيلية ب "إعادة السيطرة على غزة، أو أقلّه حالياً شمال غزة" لأسباب تتعلق بإسرائيل من البحر إلى النهر، كمرحلة أولى على طريق "إسرائيل الكبرى"، في ظل التطبيع الإسرائيلي– العربي.

يمكن قراءة هذه التعديلات من خلال طرح السؤال الآتي: هل لا تزال الخطة تتضمّن حماس والجهاد؛ واذا كان الجواب إيجابياً، فأي حماس وجهاد يريد؟؟ وهل هي حماس كما تسوّق لها إسرائيل"، مُدمّرة القدرات العسكرية والسياسية والشعبية "؟ وأي غزة ستدخل حالياً تحت هذه السلطة الموحّدة، هل هي كل غزة أو جنوب غزة، أو لا غزة ؟؟ سيما مع تأكيد تقارير أجنبية داعمة للكيان على ضرورة تغييب فكرة "إعادة احتلال غزة – تهجير

سكّان غزة" حالياً، لأن هذا الطرح ينزع أي مشروعية ل "الدفاع عن النفس" التي يسوّقها الكيان وداعموه. كما أن محمود عباس لم يوضـــح ماذا عنى بالمطالبة ب "حماية دولية" خلال اجتماع ما يقارب 57 دولة عربية وإسلامية في الرياض أخيراً؟!

إنها أسـئلة لا بدّ من الإجابة عليها، وهي التي سـتحدّد لاحقاً في أي اتجاه سـتتحرك الانتخابات الموسّـعة، التشريعية والرئاسية، التي أشار لها عباس في القمة العربية – الإسلامية.

- على المستوى الشعبي، وعلى الرغم من المحاولات الإسرائيلية المتواصلة لبث الرعب وخلق دعاية إعلامية مثبطة لهم، يستمر الشعب الفلسطيني بالتعبير عن صموده الأسطوري في وجه العجرفة الإســرائيلية؛ وهو ما حفر عميقاً في وجدان الأحرار في العالم، دون أن ننســى بطبيعة الحال الجبهة التي تتصاعد حدّتها في الضفة الغربية، والتي من الواضح أن استمرار الضغط في غزة سيؤدّي إلى تفجّرها – وهذا أحد مخاوف الكيان الراهنة – ويفقد الجانب الفلسطيني والأردني قدرة المناورة فيها.

بالانتقال إلى الكيان الصهيوني، من الملاحظ أن تداعيات طوفان الأقصى قد تسبّبت في طوفان من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات، منها ما هو تكتيكي – عسـكري، ومنها ما هو اسـتراتيجي – وجودي ، نشـير إلى أهمها:

– الكيان الصهيوني

على المستوى الاستراتيجي، لم تكن منطقة الشرق الأوسط "أكثر مسالمة" بالنسبة للكيان الإسرائيلي مما كانت عليه عشيّة السابع من أكتوبر. فالاتفاقيات الإبراهيمية كانت في سيْرها الصعودي، وعبّرت عن بعض تطوراتها بتحقيق خطوات متقدمة على مستوى تطبيع العلاقات مع المملكة العربية السعودية، راعية الحرمين الشريفين، وكممثّلة لجزء واسع من العالم الإسلامي، وفي ظل تحسّن العلاقات مع الجانب التركي، العمادة الثانية للعالم الإسلامي السني، تجارياً وعسكرياً وسياسياً، سيما على خلفية الحاجة الأمريكية للجانب التركي في صراعه على الجبهة الأوكرانية في مواجهة الروســي، مغازلاً إياها بتوقيف تمويل خط إيســت مد للغاز من الكيان الصهيوني إلى أوروبا، والذي يتخطى تركيا باعتباره سيتحوّل إلى مصدر للقلق في المتوسط من دونها.

وعلى المستوى الاقتصادي، سوّق الكيان الصهيوني لاقتصاده كواحة اقتصادية مهمة محمية بتكنولوجيا متطورة مدنية وعسكرية، تتكامل مع أنظمة بنكية وموانئ ومطارات، وحريّات اقتصادية وفردية، ومركز ديني .. لينتهي بمحاولة التكييف بعد "طوفان الأقصـى" مع الوضـع الجديد الذي فرضـه الطوفان، ويسـتدعي المسـاعدات الأمريكية والغربية. كما كشـفت بعض التقارير المؤيّدة للكيان "انخفاض الإنفاق الاسـتهلاكي. ومع اسـتدعاء

جنود الاحتياط للقتال، أدّى النقص الخطير في القوى العاملة إلى الإضرار بسلاسل التوريد في الموانئ البحرية ومحلّات السوبر ماركت على حدٍ سواء. وتقول مصادر GPF إن الهجمات الصاروخية اليومية مستمرة؛ وفي بعض المناطق، تُسمع صفّارات الإنذار مرّتين على الأقل يوميًا؛ وبالتالي فإن عدم اليقين الاقتصادي في "إسرائيل" لن يختفي في وقت قريب. وفي الوقت نفسه، تعهّدت الحكومة الإسرائيلية بالإنفاق "بلا حدود" لتمويل الحرب على غزة وتعويض الأفراد والشركات المتضررة، مما يعني ضمناً عجزاً أكبر في الميزانية والمزيد من الديون. وقد أنشأت وزارة الاقتصاد غرفة حرب حتى أواخر أكتوبر قاعدة بيانات تربط ما لا يقل عن 8550 شخصًا بالشركات المفلسة. وخفّض بنك إسرائيل توقّعاته للنمو الاقتصادي لعام 2023 إلى 2.3 بالمئة من 3 بالمئة، وتوقّعاته لعام 2024 إلى 2.8 بالمئة من 3 بالمئة. وتفترض هذه التوقعات أن الحرب ستقتصر على غزة".

علماً أن أحد المُنظّرين من المؤيّدين للكيان كان قدّم نصحاً للحكومة الإسرائيلية بعدم الحديث عن الأزمة الاقتصادية، على غرار ما حدث عقب حرب 73.

بطبيعة الحال، لا يجب التهاون بالعداوة التاريخية بين مشاريع الطاقة بكافة أنواعها وشركاتها، في مواجهة موضوعي الوقت والأمن. فعلى الرغم من أن الشركات هذه ما زالت عازمة على الاستمرار بمشاريعها الطاقوية، إلّا أن طول مدة الحرب، وتصاعد وتيرتها، وما قد يترتّب عليها من إعادة خلط الأوراق في المنطقة، سيدفع بهذه الشركات إلى التفكير ملياً بالعقود السابقة واللاحقة، ومدى جدواها في منطقة تكثر فيها الخضّات المفاجئة، وهو أحد أهم المحاذير التي تحاول "إسرائيل" تفاديها مستقبلاً من خلال التعنّت والاستماتة في إعادة احتلال غزة، خاصة أن الطاقة والغاز في المتوسط تُعدّ منفذاً أوروبياً لمواجهة الضغوط الروسية، وتشكّل رافعة إسرائيلية في الأسواق العالمية؛ وبالتالي في سياساتها وسياسييها .

على المدى القريب والتكتيكي، استيقظ الكيان في 7 أكتوبر على " زلزال "فرض عليه جملة من التحديات والأسئلة الصعبة:

1- كيف استطاعت حماس أن تناور وأن تقوم بما قامت به في السابع من أكتوبر؟ الأمر الذي وضع أجهزة "إسرائيل" الاستخباراتية وقواتها العسكرية وقوات الردّ السريع تحت المساءلة، والحديث عن ضرورة إعادة بناء وتعزيز هذه القدرات، إلى جانب قوات دفاعها المدني وقدراتها على الاستجابة الأولى ودفاعاتها الحدودية وترتيباتها لحماية "مواطنيها".

2- كيفية تفكيك "إسرائيل" لحماس وشبكاتها، مستغلّة الفرصة عينها لوضع اليد على غزة مجدداً، وذلك لأهداف سبق ذكرها.

3- كيفية مواجهة الدعاية المضادة العالمية للإبادة التي تمارسها "إسرائيل" بحق الشعب الفلسطيني الأعزل في غزة، مع فشل ذريع، إعلامي واستخباراتي، في كم الأصوات، الأمر الذي أسهم في استعادة مشاعر الكراهية للممارسات اليهودية في الكثير من المجتمعات الغربية خصوصاً، والعالمية عموماً.

4- كيفيّة تخطّي الكيان الخسائر المادية التي أسفرت عنها معركة "طوفان الأقصى" والردّ عليها، إلى جانب الضغط الاقتصادي الذي خلقته الجبهة الشمالية، والذي تعجز الولايات المتحدة وأساطيلها في المتوسط عن التخفيف منه، أقلّه حالياً.

5- كيفيّة تخطّي الانقسامات الداخلية، وكيفية إعادة ترميم فكرة "لا محارق مجدّداً" التي تدخل في صميم العقيدة الصهيونية، وإن خفت صوتها خلال المعركة، وكيفية الإجابة عن ذلك، سيما إن لم يتم تحقيق أي انتصارات .

6- كيفيّة تخطّي مشاعر عدم الثقة لدى "المواطنين اليهود" بالقيادة الإسرائيلية، إلى جانب سُبل مواجهة أزمة الهجرة المعاكسة التي ستلي انتهاء الحرب.

7- "إسرائيل" تُدرك جيّداً، كما الدول العربية، أن هناك تحوّلاً جذرياً في الحالة الفكرية في المجتمعات العربية والإسلامية، الأمر الذي قد يتهدّد نفس الأنظمة الحليفة وعلى طريق التحالف؛ وهو ما قد يعيد الكيان الصهيوني والدول المطبّعة إلى نقطة الصفر.

أخيراً وليس آخراً، أشار وزير الخارجية الإسرائيلي في آخر تصريحاته يوم 13 – 11 إلى " أن لدى إسرائيل أسبوعين للحسم قبل أن يصبح الضغط الدولي مؤثّراً لإنهاء الحرب ".

دول الطوق العربية:

1- شركاء "السلام" التاريخيون: مصر والأردن

لقد أثار "طوفان الأقصى" مخاوف أردنية – مصرية مشتركة، عبّرت عنها تلميحات كلا الرئيسين عبدالله والسيسي في القمة العربية الإسلامية المشتركة التي عقِدت في الرياض، حيث أكّد الملك الأردني على ضرورة "البدء بعملية سلام في الشرق الأوسط وعدم السماح بإعاقتها، وإلّا فالبديل هو التطرّف؛ في حين أكّد وزير

الخارجية الأردني "أن إسـرائيل لها مصـلحة في ضـرب صـدقيّة الموقف الأردني لأنه يؤذيها"، وأن الأردن "يتعرّض لضغوط، لكن هناك خطوط حمراء لا نقبل بتجاوزها"؛ في حين شدّد الرئيس المصري السيسي على أن "التخاذل في وقف الحرب يُنذر بتوسّع الحرب في المنطقة "داعياً إلى "حلّ الدولتين".

كذلك، تُدرك الأردن أنها تأتي مباشرة بعد مصر في مشروع تهجير فلسطينيي سيطال الضفة الغربية، وسيدفع هذا الأمر إلى تهديد وجودي للحكم الأردني لاحقاً، ربما يفوق المشـاكل التي قد يتعرض لها النظام المصـري فيما لو أسـهم أو وافق على الاقتراحات الخاصـة بقبول اللاجئين الفلسـطينيين مقابل المسـاعدات الخارجية والإعفاء من الديون – وهو احتمال طرحه المسـؤولون الأمريكيون والأوروبيون – وفرص للحصـول على إعفاءات من الديون المصـرية في مقابل المسـاهمة في فتح سـيناء لهجرة أهالي غزة، والسـيطرة على هجرة مضادة باتجاه أوروبا من المصريين والفلسطينيين بسبب الأوضاع الاقتصادية. إن مصر والأردن يُدركان تماماً مخاطر المساهمة في المشروع الإسرائيلي الراهن لتحقيق فكرة "إسرائيل من النهر إلى البحر"، إن لجهة زيادة الأعباء الديموغرافية والاقتصـادية وإمكانية حدوث خروقات كبيرة في الموضـوع الأمني في كلا البلدين، سـيما أنهما سيتعاملان مع شعبٍ أثبت تاريخياً أنه لن يتنازل عن أرضه الفلسطينية المحتلة .

من جهة أخرى، تخضع مصر والأردن، نظراً للعلاقة التاريخية والدينية مع الشعب الفلسطيني وقضاياه، لجملة من الضـغوط الداخلية التي تُطالب كلا البلدين بالتعبير عن الإرادة الشـعبية في مسـاعدة الشـعب الفلسـطيني المسـلم والعربي، في مواجهة المنظومة السـياسـية والأمنية والاقتصـادية التي تحكم كلا البلدين مع الكيان الإسرائيلي والولايات المتحدة وبعض الدول العربية في المنطقة .

ولعلّ أبرز تداعيات "طوفان الأقصـى" أنها أثبتت للجانب الأردني بالدرجة الأولى، والمصـري بالدرجة الثانية، أن الكيان يسـعى إلى تحقيق مصـالحه على حسـاب الأمن والاسـتقرار في "دول الطوق"؛ وهو ما ألمح إليه سـابقاً، وبشـكل علني، وزير الخارجية الأردني، والتهديد الذي جاء في كلامه حول "أن كل الأوراق والأدوات التي يمكن أن تُسهم في وقف العدوان الإسرائيلي على غزة سنلجأ إليها".

الحرج لدى الأردن ومصـر، بين الداخل وضـغوط الخارج، قد يُسـهم في توتّر العلاقات بينهما وبين الكيان الإسرائيلي؛ إلاّ أنه من المستبعد أن يؤدّي إلى قطيعة دائمة أو إلى إعادة نظر جوهرية في السياسات الخارجية لبلديهما وفي اتفاقيات "السـلام"؛ وسـيسـتمر الطرفان بالتحرك مسـتفيدين من الاقتراح الأمريكي الرافض حالياً للرغبة الإسرائيلية التي عبّرت عنها تصريحات رئيس وزراء كيان العدو، بنيامين نتنياهو، بشأن الوجود الأمني الإسرائيلي إلى أجلٍ غير مسمّى في قطاع غزة، مُقترحاً (الأمريكي) أن تقوم السلطة الفلسطينية بإدارة قطاع

غزة بعد الحرب؛ وهو ما عبّر أبو مازن عن قبوله به. ومن المرجّح أن تحتاج أي خطة من هذا القبيل إلى موافقة الأردن ومصر، اللتين تقعان على حدود الضفة الغربية وقطاع غزة.

وإذا ما افترضـــنا موافقتهما على المقترح الأمريكي، إلاّ أن كلاً من مصـــر والأردن يدركان آليّة تفكير العدو الإسرائيلي، وأنها ستكون عبارة عن هدنة مع التهديدات الإسرائيلية وليست وضعاً دائماً.

لبنان وسوريا:

– لبنان:

تُعدّ الجبهة اللبنانية من وجهة نظر إســـرائيلية وغربية، الجبهة الأخطر على الكيان الصـــهيوني، في معادلة الصـراع. ولعلّ هذه المعادلة هي التي دفعت أمريكا للتأكيد، في أكثر من مناسبة منذ السابع من أكتوبر، على أن "الخيار العســـكري بات على الطاولة". وعســـكرياً، الجبهة اللبنانية مفتوحة منذ الثامن من أكتوبر، وهي تتدحرج وفقاً للميدان، حسبما صرّح سماحة السيد حسن نصرالله، أمين عام حزب الله في لبنان.

ولعلّ أكبر قلق للكيان هو إدراكه بأن العدو اللدود له يراقب ويحلّل تداعيات طوفان الأقصـــى وردود أفعال الكيان، والتي تضـــمّنتها تصـــريحات قادة حزب الله، مثل "الكيان الضـــائع – الزلزال – التفكك – ضـــعف المنظومات الاستخباراتية – العسكرية – القلق السياسي الداخلي والتفكك – الغضب ..". ومن الواضح أن الكيان الإســـرائيلي يعمل جاهداً للخروج من هذه الصـــورة المســـتجدة له والســـيطرة على الوضـــع، من خلال اســـتعراض القوة والتهديدات المتتالية، ســـيما زعمه أنه " قادر على فتح أكثر من جبهة في الوقت عينه"، مع تصعيده القصف على جنوب لبنان، والذي يقابله هدوء وتبلور مدروس للرؤية الاستراتيجية لدى قيادة حزب الله بشخص أمينها العام.

وفي آخر التطورات على جبهة لبنان(10– 11– 2023)، وبالتزامن مع البيان الصـــادر عن القمة العربية – الإسلامية، هدّد وزير "الدفاع" في الكيان الصهيوني، يوآف غالانت، "سكّان العاصمة اللبنانية بيروت" بما قال إنه "مصير مشابه لمصير سكّان قطاع غزة، إذا نشبت حرب بين إسرائيل وحزب الله اللبناني "؛ وهو الأمر الذي قابله سماحة السيد نصرالله بالتأكيد على أنه من خلال سياسة التهديد بالتدمير والتخويف "يُخطئ العدو من جديد"، مُذكّراً بالحروب الســابقة والإجرام الإســرائيلي بحق لبنان وفلســطين، وأن من يجب أن " ييْأس هو الإسرائيلي "لأنه من أشلاء الشهداء ستنطلق أجيال جديدة أكثر بأساً وتصميماً" وأن "خيار الشعوب الوحيد الذي أثبت على مدى 75 سنة نجاعته هو خيار المقاومة، وإن غلت وتعاظمت التضحيات"، كما يحصل في غزة.

لكن اللافت في خطاب سماحة السيد نصرالله الأخير، هو تأكيده على أن كل "التنديد والاستنكار والضغط يجب أن يتوجه إلى الإدارة الأمريكية"، والتي "تستطيع أن توقِف هذا العدوان لأنهم يديرون هذا العدوان". هذه الحقيقة الضاغطة هي ما يحاول الكيان الإسرائيلي تثبيتها، من ناحية استغلال الفرصة الحالية، ووجود إدارة أمريكية مباشرة للمعركة، وفي ظل قواتها العسكرية المنتشرة في المنطقة، جواً وبحراً وبراً، لمواجهة الضغوط الشعبية العالمية من جهة، وللقضاء على "جوهرة التاج الإيراني"، كما يصفونها من جهة أخرى.

من الواضح أن الأمور تتطور باتجاه تصارع الإرادات؛ إرادة "هزيمة حماس وتدميرها" الإسرائيلية في مواجهة "من غير المسموح به هزيمة حماس" التي أكّدها السيد نصرالله في خطابه الأول بعد 7 أكتوبر؛ يُضاف إليها الاستغلال الإسرائيلي للوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، لتحقيق حلم القضاء على مناعة لبنان ومقاومته، ولاسيما مع حديث وسائل الإعلام الإسرائيلية عن مصير نتنياهو بعد انتهاء العملية البريّة، والتي من المرجّح أن تستمر أسبوعين وفق تصريحات وزير الخارجية الاسرائيلية؛ بالإضافة إلى التطورات في الساحة اللبنانية، والتي يحكمها "الميدان" الذي تشتد سخونته ورقعته الجغرافية في الجهتين، يوماً بعد آخر، والذي يمكن أن يشكّل لنتنياهو فرصة أخيرة لدفع أمريكا وحلفائها إلى التورط في حرب مع لبنان تقدّم له صورة انتصار .

إن تداعيات الحرب في غزة من شأنها أن تترك كبير أثر على الجانب اللبناني؛ إذ إن أي نصر تحقّقه المقاومة الفلسطينية سيُعدّ إنجازاً يخدم الساحة اللبنانية عموماً، ومحور المقاومة على وجه الخصوص؛ كما أنه يُسهم في تأخير أي عمل عسكري مرتقب ضد لبنان، ويعيد تمتين ما هو أبعد من خطوط وقف الاشتباك السابق، سيما أنه مستجد له أبعاد كبيرة في حال توقّفت الحرب بفوز المقاومة؛ بموازاة تأكيد المقاومة اللبنانية وقدرتها وجرأتها وإصرارها على قواعد الاشتباك، إلى جانب خرقها للمحظور سابقاً، وهو القدرة على قصف المواقع الإسرائيلية في الأراضي اللبنانية والفلسطينية المحتلة، إلى جانب أبعاد أخرى "وليَ فيها مآرب أخرى".

أما على مستوى **الجبهة السورية**، فهي تمثّل، وبحق، الحضن الحامي والداعم للمقاومات في المنطقة، وتتحمّل، رغم ظروفها الاقتصادية والأمنية، أعباء "ضيق خيارات العدو الاسرائيلي" في عمليات الرد، إلى جانب تحمّلها جبهة أخرى مفتوحة على المواجهة مع القواعد الأمريكية من جهة، ووكلاء أمريكا في سوريا من جهة أخرى.

ففي سوريا، شهدنا سلسلة من الهجمات التي طالت العديد من القواعد العسكرية الأمريكية، والتي تبنّتها فصائل المقاومة العراقية الإسلامية. كما تعرّضت قواعد عسكرية أمريكية في العراق إلى هجمات من قِبل المقاومة.

في مقال سابق، قلنا إن سوريا هي "المنطقة الرمادية" المفتوحة على الكثير من الاحتمالات، خصوصاً لجهة اتصالها المباشر بمنظومة محور الممانعة والمقاومة من جهة، وللعلاقات التي بُنيت خلال العقد الماضي مع الاتحاد الروسي، وتلك التجارية – السياسية مع الصين.

وقد نقلت شبكة السي أن أن أخيراً عن مسؤول عسكري أمريكي زعمه أن الانفجارات التي حدثت في المنشأة التي ضربتها طائرتان مقاتلتان أمريكيتان كانت " تحتوي على أسلحة" تعتقد الولايات المتحدة أنها استُخدمت "في العديد من الضربات التي وقعت ضد قواتنا في سوريا"؛ فيما صرّح مسؤول دفاعي كبير بوجود "إجراءات إضافية للتواصل مباشرة مع إيران" وسط الصراع بين إسرائيل وحركة "حماس"، وأن واشنطن "لا تسعى إلى تصعيد الصراع في المنطقة"؛ لكن أمريكا قامت مجدداً بقصف في سوريا رداً على قصف قواعدها، في محاولة للتأكيد على جديّة تهديداتها. كما نقلت وسائل إعلام أجنبية عن مسؤول أمريكي قوله إن الولايات المتحدة وضعت بطاريات صواريخ باتريوت إضافية في قواعدها في الشرق الأوسط، وفي العراق وسوريا.

إن جديّة هذه التهديدات بالنسبة لأمريكا لا تتعارض مع الاعتماد على وكلائها، حيث ستلجأ إلى سياساتها السابقة، عبر تحريك محورها على الأراضي السورية، من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب، من أجل معاقبة سوريا وحلفائها؛ وهو ما لاحت بوادره بعد الهجوم الذي قامت به مجموعات "داعش" في البادية السورية تحت نظر القوات الأمريكية ودعمها.

وكانت تقارير غربية وإسرائيلية قد أشارت إلى جملة من الخطوات المتعلقة بسوريا وغيرها من الدول العربية، ومن بينها:

1- الردّ العملي والفوري على أي انتهاك للمصالح الأمريكية، ولو لمرّة واحدة، وإن الخيارات العسكرية مفتوحة وباتت "على الطاولة"، مع ضرورة الخروج من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم .

2- تعزيز دعم المجموعات المعادية للنظام السوري ووكلائه في سوريا ، إلى جانب دعم "الانتفاضات" ضدّه.

3- العمل الإسرائيلي- الأمريكي المشترك على محاسبة الرئيس السوري بشار الأسد، الذي ترعاه روسيا.

4- اختبار العلاقات مع الحلفاء "المملكة السعودية، والإمارات العربية المتحدة" في الموضوع الفلسطيني، سيما بعد محاولات التطبيع مع نظام الرئيس السوري.

5- زيادة التنســـيق بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان، لشـــلّ منظومة المقاومة على طول الحدود السورية مع لبنان، ومن دون المساس بالقوات الروسية، لتأكيد أن عمليات نقل الأسلحة لن تمرّ مرور الكرام .

العراق واليمن :

إن أبرز ما يميّز تحرّكات جبهات محور المقاومة ما بعد 7 أكتوبر هو تعزيز قدرة وجرأة الرد على التهديدات الأمريكية والغربية والإســـرائيلية، من غزة وصـــولاً إلى اليمن، رغم تميّز كل جبهة من هذه الجبهات بفرادتها وقدراتها العسكرية وقابليتها لتحمّل الضغوط الدولية.

وتُعدّ جبهة العراق من الجبهات المهمة والنشــطة أيضــاً في مجال إســناد المقاومة الفلســطينية في غزة. وما ينطبق على سوريا في بعض المجالات ينطبق على الجانب العراقي لجهة الجماعات الموالية من تحت الطاولة للأمريكي والإسرائيلي، ومن فوقها.

لن ندخل في التفاصــيل العســكرية، لأن ما ينطبق على الجبهات اللبنانية والســورية واليمنية ينطبق على تلك العراقية، لجهة مصداقية المواجهة مع الكيان الصهيوني وأمريكا بشكل مباشر وغير مباشر؛ وهي حالة مرشّحة للاستمرار والتصاعد. وتكفي الإشارة إلى الاعتراف الأمريكي الأخير بتعرّض قوّاتها من قِبل المقاومة الإسلامية العراقية لهجمات في سوريا والعراق ناهزت 46 هجوماً، والتي حصدت نحو 56 إصابة. ولكن يجدر الالتفات إلى المواضــع التي يمكن أن يستخدمها العدو للردّ على عمليات المقاومة، والقاضــية، وفق بعض التسـريبات، بتهديد حكومة الســوداني بســحب الغطاء عنها إذا لم تقم بإيقاف الهجمات ضــد القوات الأمريكية في ســوريا والعراق؛ وهذا ما يفتح المجال أمام عودة الحديث عن "الفوضـــى في العراق" واســتعادة مشــروع فدرلة العراق؛ ويتقاطع هذا التســـريب مع دعوة بعض التقارير إلى ضـــرورة "التركيز على المطالبة بالفدرلة ومناطق الحكم الذاتي ومزيد من الدعم لكردستان العراق وسلطاتها" كردٍ على ما وصفته هذه التقارير بارتفاع وتيرة "العدوانية" في خطاب القوات العراقية تجاه الوجود الأمريكي في المنطقة، و"كجزء من جهودها لدعم حماس في غزة "؛ وهي قد تكون تهديدات لا جديد فيها، وإنما من شأنها أن تُعرقل المسار العام في العراق.

لكن في المقابل، ومهما كانت نتائج وتداعيات طوفان الأقصى، فإن أولى إشاراته سيتلقّفها العراق وسوريا، من خلال زعزعة الوجود العســـكري الأمريكي فيهما، ما قد يؤدّي إلى اســـتدارة "أفعى الهيدرا" لتعميق هذا الوجود المباشـر، وذلك لأنه وفق الثوابت الأمريكية "ممنوع أن يقع الشـرق الأوسـط، والمتوسـط تحديداً، تحت نفوذ أي

قوى منافسة أو معادية" لما له من علاقة حيوية واستراتيجية بالتجارة الدولية، خاصة البحرية منها، وإمدادات الطاقة، وأمن "إسرائيل"، قاعدة أمريكا الاستعمارية في المنطقة؛ إلى جانب آثار وتبعات ذلك على حربها المجمّدة حالياً في شرق آسيا، والمستمرة في الساحة الأوروبية في مواجهة روسيا.

إن مطالبة بعض الدول والشعوب باستخدام سلاح النفط للضغط على الكيان وداعميه، وعلى الرغم من عدم التزام أي منها بهذا الأمر، من شأنه أن يُثير الذاكرة الغربية فيما يتعلق بحرب 73، التي دفعت لاحقاً بمزيد من القوات الأمريكية إلى المنطقة؛ ولكن من الممكن أن تكون هذه المرّة تحت عناوين: أمن إسرائيل والغاز ومحاربة التمدد الروسي –الصيني إلى المتوسط .

أما على المستوى اليمني، فمن الواضح أن لدخول اليمن السعيد على خط المواجهة المبكر، قد فاقم من المخاوف الغربية والإقليمية، وأثار العديد من التساؤلات. إلّا أن أحد أهم تداعيات عملية طوفان الأقصى أنها وضعت أعداء الحوثيين في الزاوية المرّة، لجهة مصداقية المساندة اليمنية للشعب الفلسطيني، والقوة التي عبّر اليمنيون عنها في هذا الإطار، من الناحيتين العسكرية والمعنوية، والتي أظهرت مظلومية الشعب اليمني الذي تعرّض لحرب "الإخوة" بشراسة، في الوقت الذي لم يُقدّم "إخوة يوسف" عوناً حقيقياً للشعب المحاصر في غزة، لينسف اليمنيون بذلك فكرة الصراع المذهبي التي تذرّع بها أعداء اليمن لسنوات طويلة.

إن امتداد أمد الحرب ضد غزة، مع إطلاق الحوثيين صواريخ وطائرات مسيّرة تجاه الكيان الصهيوني، أثار قلق البعض في الداخل اليمني وخارجه؛ وهو ما سارع بعض المسؤولين اليمنيين إلى مواجهته عبر دعوات للوحدة بين أبناء اليمن نصرة ل"غزة والإسلام المحمدي"، ومُبدين استعدادهم لمواجهة المخاطر في سبيل نصرة الشعب الفلسطيني، وإمكانية العودة إلى ساحة المعركة السابقة إذا ما اضطرهم الأمر؛ وهو ما قد يلقى صدى عند المملكة العربية السعودية، وربما الإمارات العربية، نظراً لرغبة المملكة بإنهاء الصراع مع اليمن، وذلك للتفرغ لرؤيتها 2030 التي تقتضي تخفيف النفقات العسكرية لصالح تمويل مشروع نيوم ورؤية 2030 الاستراتيجية، سيما بعد تراجع الاستثمارات الأجنبية في مرحلة سابقة؛ إلى جانب ضعف الثقة بالموقف الأمريكي المتراجع فيما يتعلق بحماية المصالح السعودية إبّان تعرّضها لقصف من المسيّرات اليمنية في الحقبة الأولى من ولاية بايدن الرئاسية؛ وبالتالي يمكن للحوثيين أن يُفسدوا هذه الخطة بإطلاق الصواريخ عبر الحدود على المملكة، كما فعلوا طوال الحرب. ولذا تحتاج الرياض إلى إنهاء القتال في اليمن لضمان أمنها.

ومع الأخذ بعين الاعتبار الإمكانات العسكرية اليمنية، من عدّة وعديد ذي تجربة، إلى جانب الموقع الاستراتيجي الفريد على البحر الأحمر من جهة، وبحر العرب من جهة أخرى، مع تغليب لغة الحوار مع بقية

الأفرقاء اليمنيين، وضـــعضـــعة الخطاب الطائفي، وقوة العقيدة الدفاعية لدى الحوثيين، في مواجهة التشـــرذم، وضـعف الحجج لدى الفريق الداخلي، خصـوصـاً بعد "طوفان الأقصـى"، فمن المرجّح أن تتحوّل صـنعاء إلى لاعب أســاســي في منطقة جنوب غرب آســيا، في إطار معادلات الصــراع المقبلة، الطاقوية، كما في إطار توازنات القوى الجيوبوليتيكية.

القمّة العربية – الإسلامية المشتركة والاصطفافات الدولية:

لقد أظهرت القمّة العربية– الإسـلامية بعضـاً من مشـهدية المرحلة القادمة فيما يتعلق بالاصـطفافات الإقليمية، ووضعت بموافقة وترحيب أمريكي –أوروبي، سلّم النزول للكيان الصهيوني عن "شجرة" طوفان الأقصى؛ وهي شكّلت تعبيراً واضـحاً من قِبل الأمريكي عن عدم رغبته بالتورّط مباشرة في معركة شرق أوسطية، في الوقت الذي يقود فيه معركة في شرق أوروبا ضد روسيا الطامحة لمشاركته قيادة العالم، والصين الصاعدة والطامحة لمشـاركته اقتصـاديات العالم وعلومها، وطرق مواصـلاتها وموانئها، ما يهدّد الغرور الأمريكي السـاعي للبقاء أطول مدة ممكنة متربعاً على عرش العالم.

توزّعت "الجبهات" في القمّة على ثلاثة محاور؛ محور تقوده الســعودية والإمارات بموافقة ومباركة مصــرية – أردنية –فلسطينية (السلطة الفلسطينية)، حيث يخلص البيان إلى أن أبرز ما تم التوافق عليه في البيان المبارك أمريكياً، هو خلاصــة ما تمّ شــرحه آنفاً حول خطة ســلام فيّاض، والقاضــي بوقف الحرب وضــرورة إدخال المسـاعدات، وعدم السـماح بالتهجير الذي تخاف منه الأردن ومصـر، إلى جانب توحيد الفصـائل الفلسـطينية ضمن السلطة الفلسطينية .. وهو ما ردّ عليه بنيامين نتنياهو على الفور بأن الجيش الإسرائيلي سيتحكم أمنياً بغزة بعد الحرب، وأنه لا حديث عن مسـتقبل لغزة إلّا بعد انتهاء الحرب، مناشـداً الدول العربية الوقوف "ضـد حماس".

هذا وكانت وسائل إعلامية قد نقلت أنه قبل أسبوعين من "طوفان الأقصى" "جرت مباحثات في واشنطن ركّزت على تطبيع العلاقات الإســرائيلية – الســعودية مقابل معاهدة دفاع أمريكية – ســعودية. وكان يُنظر إلى هذه الصـفقة الضـخمة باعتبارها انقلابًا دبلوماسـيًا أمريكيًا كبيرًا وتغييرًا لقواعد اللعبة الجيوستراتيجية، "وأنه" كان من الممكن أن تنشـأ كتلة عسـكرية واقتصـادية شـرق أوسـطية مؤيّدة لأميركا، ومدعومة بموارد الطاقة في الخليج الفارســي، وبصــناعات التكنولوجيا الفائقة والمراكز العلمية الإســرائيلية؛ وهي الطريقة الأكثر فعالية للردّ على التهديدات التي تفرضها إيران وتوابعها الإقليمية".

كما برز المحور الآخر في القمّة، الذي عبّر عنه الرئيس السوري بشار الأسد، والذي يُعبّر عن عقيدة محور الممانعة، الداعي إلى الاعتبار من تجربة ال32 سنة سلام والتي لم تؤدّ إلّا إلى مزيد من القتل ثم المعونات والبيانات "ولا أرض عادت ولا حق رجع"؛ وهي حالة أنتجت معادلة "مزيد من الوداعة العربية تساوي مزيداً من التوحش الصهيوني"، وأنه لا يمكن اجتزاء غزة من القضية الفلسطينية، ملمحاً إلى أن مصالح الأمن القومي العربي تقتضي اتخاذ مواقف عملية والاستفادة من المتغيرات التي حصلت بعد طوفان غزة و"المقاومة الباسلة" واستخدام "الأدوات الحقيقية للضغط"، وأهمها إيقاف أي مسار سياسي أو اقتصادي مع الكيان الصهيوني؛ ولتكن عودته مرتبطة باستمرار تحقيق المطالب الفلسطينية الحقيقية.

وحول الحديث عن فكرة "حل الدولتين"، استخفّ الأسد بطرحها حالياً باعتبارها ليست أولوية، ولأنها لن تُثمر "لأن لا مرجعية ولا قانون ولا راعي ولا شريك، كون المجرم قاضياً واللص حاكماً؛ وهذا هو حال الغرب اليوم"، مؤكّداً أنه بالمقاومة الباسلة امتلكنا أدوات الضغط الحالية.

أدوات الضغط التي تحدّث عنها الأسد، والتي يراها التركي بوضوح، لم تساعد الجانب التركي للخروج من أزمة كونه مثّل المحور الثالث في التقسيمات؛ وكعادته كان التركي قريباً من موقف الجبهة الأولى، مع تمايز نسبي فيما يتعلق بعلاقته مع حماس؛ وهو ما زاده إحراجاً من جهة؛ ومن جهة أخرى، علاقاته التجارية والعسكرية بالكيان الإسرائيلي، ورغبته بلعب دور دولة ممر للغاز المتوسطي، ما قد يُسهم بارتقاء دوره ضمن المعادلات الدولية لاحقاً؛ وهو موقف لا يُحسد عليه الجانب التركي، لا شعبياً ولا سياسياً، داخلياً أو خارجياً، وتحديداً على مستوى القضية الفلسطينية والدور التركي عموماً في قضايا الشرق الأوسط.

على المستوى الدولي:

لم تكن صدمة الكيان الصهيوني بأقل من صدمة الولايات المتحدة بفعل تفجيرات 11 سبتمبر، والتي أحدثها "طوفان الأقصى"، بكلّ تداعياته على المخططات الأمريكية الطموحة حول العالم، والاستعدادات التي بدأت منذ وصول جو بايدن إلى سدّة الرئاسة، وتناولت مختلف جوانب نقاط الضعف المرتقبة، من استخباراتية وتكنولوجية وعسكرية، وتمتين التحالفات وتسليح الحلفاء في شرق آسيا، تمهيداً للمواجهة الكبرى، ولكن غير المباشرة مع الصين في شرق آسيا، في الوقت الذي تشغل فيها أمريكا حليفة الصين، روسيا، بحرب عبر وكلائها الأوروبيين.

كانت أمريكا تعتقد أن الشرق الأوسط بعد المتغيرات التي حصلت خلال السنوات القليلة الماضية، من الصمت العربي والإسلامي على الاعتراف بالقدس عاصمة للكيان، وصولاً إلى تطبيع بعض الدول العربية معه، ومروراً بتنفيذ خطوات عملية على طريق تنفيذ التوافقات الإبراهيمية، مع فتح الآفاق لإعادة المباحثات حول الملف النووي الإيراني بطرق أكثر دبلوماسية من إدارة دونالد ترامب؛ وصولاً إلى الهدوء النسبي على جبهة الحرب السعودية – الإماراتية ضد حكومة صنعاء، وضبط العراق عبر موازنته واستقرار حكومته وتأليب الرأي العام العراق على نفسه، واستمرار انشغال سوريا بوكلاء أمريكا على أراضيها، من جماعات متطرفة ومعارضات كان آخرها تشجيع معارضة جديدة في الجنوب السوري، وإعادة تحريكها تحت عناوين معيشية، في الوقت الذي تستمر فيه الإدارة الأمريكية بخنق سوريا اقتصادياً بقانون قيصر، حيث مجمل الوقائع كانت تشير إلى ارتياح أمريكي فيما يتعلق بأحوال المنطقة.

لقد دفع "طوفان الأقصى" الإدارة الأمريكية والأوروبيين إلى الهرولة لمساعدة الكيان الصهيوني في المنطقة بعد هول الواقعة على الصهاينة، فيما شهدنا ارتياحاً روسياً عبّرت عنه بعض التصريحات التي صدرت عن الرئيس الروسي بوتين، والذي تفرّغ لمعركته في أوكرانيا بعيداً عن الضغوط الغربية الإعلامية والسياسية، وفي ظل معاناة أوكرانيا من سوء التمويل والدعم العسكري، نظراً لانقسام جبهة دعمها إلى جهتين، تتمتّع إحداهما(إسرائيل) بأفضلية مطلقة بالنسبة للإدارة الأمريكية؛ فهي قاعدتها العسكرية الأساسية في الشرق الأوسط، والتي تُعوّل عليها الإدارة وفق خططها الجديدة ضمن النظام الدولي المرتقب.

أما على المستوى الصيني، فإن "طوفان الأقصى" وما أحدثه من إرباك على المستوى الدولي، ولدى الحكومات والشعوب، يواجَه بنوع من المراقبة الصينية الدقيقة، إذ إن نتائج المعركة، وما ستُسفر عنه في المتوسط، لها شأن كبير في تحديد مجريات الأحداث في شرق آسيا. وعلى الأقل من شأنها أن تُحدِث إرباكاً في جبهة العدو الأساسي المتربص بالصين؛ كما قد تسبّب تداعيات "طوفان الأقصى" عرقلة مرغوبة بشأن التفاهم حول مشروع الخط الهندي، الذي يُعدّ خطاً منافساً ل"الحزام والطريق" الصيني، سيما أن هذا المشروع سيقوم برعاية الولايات المتحدة؛ ويربط هذا الممر الاقتصادي الهند بأوروبا عبر الخليج؛ وقد وقّعت عليه كلٌ من الهند والسعودية والإمارات والاتحاد الأوروبي وفرنسا وإيطاليا وألمانيا، وهو ما تُدرك الصين خطورته، خصوصاً وأن الولايات المتحدة تحاول دعم الهند لتؤدّي دوراً منافساً للدور الصيني؛ وهو الأسلوب عينه الذي أدّته أمريكا خلال التسعينات، حيث أقدمت على دعم الصين في مواجهة اليابان لتدمير قوّتها الاقتصادية الناشئة، والتي اعتبرت في حينه بأنها تشكّل منافساً للولايات المتحدة الأمريكية.

خاتمة

من الواضح تماماً أن "طوفان الأقصى" قد ترك بصماته المباشرة على سلسلة من المتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية، وبما يتناسب مع مصلحة كلّ من يعارض الهيمنة الأمريكية على العالم. إلّا أنه لا بدّ من الإشارة والتأكيد على أن هذه المتغيرات الإيجابية، ورغم تصاعد كلفة تحقيقها، وإن لم يتم العمل على تفعيلها، وبالسرعة المطلوبة، فمن الممكن أن يخف وهجها مع القادم من الزمن، لأنه وعلى الرغم من خلو جعبة الإدارة الامريكية الحالية من حلول للأزمة الكبرى التي تمر بها هي وكيانها الصهيوني، إلّا أنها، وكما يُعرف عن القوى البحرية وفقاً للمنظومة الجيوبوليتيكية التقليدية، تتمتّع بمرونة عالية على مواجهة الأزمات وإعادة تشكيلها ورميها في ساحات الخصم؛ وهو ما تفتقده القوى البريّة وفق نفس المنظومة. من هنا تأتي الدعوة إلى تفعيل الآلة الدبلوماسية لحثّ أطراف المحور الواحد على ضرورة التحرّك السريع، وعدم الركون إلى الإنجازات المتحققة، كي لا تتحوّل الفرص إلى تهديدات لاحقاً، وعلى مختلف المستويات.